اولا تبالوا بهم ان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى
دقوله والله اعلم وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا
اى ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم وينصركم من القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف
تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون كقوله، وما الدهر الا تارتان فمنهما، اموت واخرى ابتغى العيش اكدح، اى فمنهما
تارة اموت فيها يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اماله
عن موضعه الذى وضعه الله فيه وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسم ربعة عن موضعه فى التورية بوضعهم ادم طوال مكانه ونحو تحريفهم
الرجم بوضعهم الحد بدله فان قلت كيف قيل هنا عن مواضعه وفى المائدة من بعد مواضعه قلت اما عن مواضعه فعلى ما فسرنا
من ازالته عن مواضعه التى اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه
فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذى لا موضع له بعد مواضعه والمعنيان
متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة قولهم غير مسمع حال من
المخاطب اى اسمع انت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو اجيبت
دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة غير مجاب الى ما
تدعوا اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه
فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اى اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه
نبوا عنه ويحتمل المدح اى اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا
نكلمك اى رقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهى راعينا وكانوا سخرية بالدين
وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير
والاكرام ليا بالسنتهم فتلا بها وتحريفا اى يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع
انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير
نفاقا فان قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا قلت جميع الكفرة
كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوا فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا
بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم نطقوا به وقرئ اى وانظرنا من الانظار وهو الامهال فان قلت الام يرجع الضمير
فى قوله لكان خيرا لهم قلت الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم واعدل
واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم اى خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم عن الطاعة فلا يؤمنون الا قليلا ايمانا قليلا اى ضعيفا
ركيكا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره او اراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكى للمهم يصيبه
اى عديم التشكى او الا قليلا منهم قد امنوا ان نطمس وجوها ان نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم
فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهى الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب
على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الاخر ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكسها الوجوه
الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه اخر وهو ان يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه
رؤسهم ووجهاؤهم اى من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او
نردهم الى حيث جاؤا منه وهى اذرعات الشام يريد اجلاء بنى النضير فان قلت لمن الراجع فى قوله او نلعنهم قلت
للوجوه ان اريد الوجهاء واصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب
على طريق الالتفات او نلعنهم او نخزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت

هى

هو مشروط بالايمان وقد امن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولان الله اوعدهم
باحد الامرين بطمس الوجوه او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم او اجلاءهم الى الشام فقد كان
احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا
ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان
امر الله مفعولا فلا بد ان يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا فان قلت قد ثبت ان الله عز وعلا يغفر الشرك لمن
تاب عنه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكباير الا بالتوبة فما وجه قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء قلت الوجه ان يكون الفعل المنفى والمثبت جميعا موجهين الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر
لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثانى من تاب ونظيره قولك ان
الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء يريد لا يبذل الدينار لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله فقد افترى
اثما اى ارتكب وهو مصدر منتقل ولا يصح كونه الذين يزكون انفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله عليه السلام باطفالهم
فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار
فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله فان قلت اما
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انى لامين فى السماء امين فى الارض قلت انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل فى
القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد
له من لا يعلم بل الله يزكى من يشاء اعلام بان تزكية الله هى التى يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ومعنى
يزكى من يشاء يزكى المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون اى الذين يزكون انفسهم هو اعلم بمن
اتقى كيف يفترون على الله الكذب فى زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر اثامهم
الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك ان حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين
خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم
اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت
لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا يقول
محمد قالوا يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقى الحاج ونقرى الضيف ونفك
العانى وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة
ويتمنون ان يكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك
ثم قال فاذا لا يؤتون اى لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة فى ظهر
النواة وهو مثل فى القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله كقوله قل لو انتم تملكون
خزائن رحمة ربى اذا لامسكتم خشية الانفاق وهذا اوصف لهم بالشح واحسن لطباقه نظيره من القران ويجوز ان
يكون معنى الهمزة فى ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون
احوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وقرأ ابن مسعود فاذا لا يؤتوا على اعمال اذا عملها الذى هو النصب
وهى ملغاة فى قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ام يحسدون الناس بل ايحسدون رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما اتاهم الله من فضله من النصرة والغلبة
وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد اتينا الزامهم بما عرفوا من ايتاء الله الكتاب والحكمة ال ابراهيم الذين هم اسلاف

Copyright © King Saud University